

أمن
أدبنا

الشيخ

عبد الله

المجيري

١٢٨٥ - ١٣٥٢ هـ

١٢٨٥ - ١٣٥٢ هـ

للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف
ابن عبد الله آل الشيخ

يدافع الإعجاب والتقدير لتوايح العلم والأدباء اكتب على صفحات مجلة
 دارة الملك عبد العزيز الغراء عن حياة أديب رافق مسيرة الجهاد المقدس وسار
 في موكب رافع علمه وحامل لوائه جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
 سعود رحمه الله وهذا الأديب هو الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد بن الشيخ
 سعد (العجيري) ولد رحمه الله في حوطة بني تميم بنجد سنة ألف ومائتين
 وخمس وثمانين للهجرة ونشأ في أحضان والده وقرأ القرآن نظرا وعن ظهر
 قلب وقرأ مباني العلوم على والده ثم قرأ في التوحيد والفقه والنحو على
 الشيخ إبراهيم بن عبد الملك آل الشيخ وقرأ على غيره من علماء وطنه ،
 وسافر إلى مدينة الرياض وبقي بها مدة تعرف على العلماء الموجودين فيها
 وحضر مجالسهم واستمع إلى خلق دروسهم وأفاد منها ثم سافر إلى الجبال
 وبعد ذلك أب إلى بلاده وكان ميالا بطبعه إلى الأدب ورواية أشعار العرب مهيا
 موهوبا بحباه الله قوة الذاكرة وسرعة الغاطر إلى جمال الصوت وحسن الترتيم
 بما يتلوه من شعر ونثر فأحسن رحمه الله استعمال هذه المواهب وتغلّيتها
 فأتجه برغبة شديدة إلى قراءة كتب الأدب وما دون من أشعار العرب وما حوته
 بطون التواريخ والسير ، وأودع ذاكرته رصيذا كبيرا من الأدب والفنون ،
 فأثبه رحمه الله حفظة الأخبار ورواة الأدب الأولين أمثال حماد وإبي عبيد
 والأصمعي وغيرهم ممن عرفوا بقوة الحفظ وكثرة الرواية وحسن الأداء
 والصياغة ، وبعد هذا التحصيل الأدبي بقي في بلده مغمورا حتى شاء الله له
 الغير وأذن لمواهبه بالانطلاقة والبروز فذكر للملك عبد العزيز ، سنة
 ألف وثلاثمائة وثمان وعشرين ، فدعاه الملك والعقبة بمعينة جلالتهم يفزرو في
 موكبه في عداد العلماء من القضاة والأئمة والمرشدين الذين اختارهم الملك
 عبد العزيز يرافقونه رحمه الله في جهاده المقدس ومسيرته الغيرة . أبان
 توحيد جلالتهم أجزاء هذه المملكة وأرساء قواعد الأمن والإيمان فيها ، فانتظم
 أديبنا في سلك هؤلاء العلماء وظليفته القراءة في الموكب والموكب مدللج في قلعة
 الليل ، وقد صور لنا المرحوم الشيخ يوسف ياسين أديبنا (العجيري) وهو
 يث رحلته في الموكب الملكي وصوره رفعا صوته بالقراءة فيه . وتحدث
 لنا عنه حديثا شائقا يطرب السامع ويستهو به قائلا عنه في رحلته بالحرف
 الواحد ما نصه (حتى إذا أدلج الليل وكل العادي وكاد الركبان يملون نادى
 الملك (العجيري) فث رحلته وتقرب من وسط الجمع فحمد الله وأثنى عليه

بما هو أهله ثم اختار موضوعا من فنون الأدب في مكارم الأخلاق أو في التقوى أو مغافة الله أو في السير والتاريخ إلى غير ذلك من فنون القول فبدأ كلامه بقوله « (فصل) في مكارم الأخلاق » فذكر جميع ما ورد في كتاب الله عنها • ثم ذكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة والتابعين أو عن العرب من جاهليين وإسلاميين ومغضمين ومولدين ومعدنين أو ما ورد في أقوال أئمة الهدى من العلماء الاعلام فإذا بدأ في روايته رأيته كالسيل المتعذر يغرق من بحر لا يتلعم ولا يتلصق يصل القول بالقول ويعزو كل قول لقائله ثم تراه يغرب ويشرق ويحجب حدائق الأدب العربي فيقتطف من كل غصن زهرة وينثر علينا من زهور اجتتها وأودعها (ذاكرة) ما رأيته خائنه في ليلة من الليالي ولا عزت عليه طول الإدلاج وتكرر الأيام ولقد ظننت لأول ليلة أن الشيخ قد حفظ ما رواه لنا من كتاب جمع هذه الأقوال فهو يروي لنا ما وجده مجتمعا في كتاب خاص معين ، ولكن لما تكررت الليالي وجدت أن الشيخ لم يحفظ ذلك في كتاب معين وإنما هي أقوال في ذاكرته من مختلف الكتب متى أرادها نظم عقدها ونضد وضعها بحيث لا يعمل السامع ولا يسام ويتمنى أن يطول السري حتى لا يسكت الشيخ (العجيري) فأونة تراه واعظا يسيل العبرات فمئذرا ومغوبا بكلام مغتار منتقسي يأخذ بالآلآباب ويؤثر في الصم الجلود وحينما تلقاه مبهجا مسرا بما يرويه مما أعده الله لأهل طاعته وإذا ذكر الكرم وأخبار الكرماء أجاد وأفاد وإن بعثت في الشجاعة والأقدام جعل القوم أسادا وهكذا في أي فن من فنون القول أخذ أجاد وأبدع ومن أشد ما يلفظ بالنظر في أمر الشيخ أنك تراه يصل القول بالقول بلحمة من الفاظه كأنها من نوع ما يرويه لا ترى في كلماته شذوذا ولا نفورا ، بلفظ منسجم على غاية من البلاغة والإيجاز لا تظنه إذا سمعته أنه من مروياته لا من نسج لعظته •

وقلما كانت تغوث الشيخ النكتة الأدبية إذا جاء وقتها ولكنه يرويها بأسلوب يجعل لها تأثيرا من نوع ما يروي ولولا ظلمة الليل وإن راكب الراحلة لا يستطيع الكتابة لعملت من هذه الرحلة للامة العربية كتابا شائقا في الأدب العربي من مرويات الأستاذ ، ولست مبالغا إذا قلت أنني قرأت البيان والتبيين للجاحظ ورأيت كيف أن صاحبه تدعوه الإشارة إلى المنعنى فيليبيا طائعا ثم يجول معها ويسير ويروي ويقول ثم يعود لصدد ما كان فيه من غير أن يعمل بل على العكس يزيد في نشاطه وشوقه ، هكذا صنيع الجاحظ في بيانه وتبيينه وكذلك كان شأن الشيخ (العجيري) بلباليه معنا في هذه الرحلة • ولقد أقام

لنا الدليل على أن ما روي لنا من أخبار الرواة الأولين وما كانوا يحفظونه من الشعر والنثر أمثال حماد والأصمعي وأبي عبيد وغيرهم لم يكن خيالا شعريا وإنما هي حقائق واقعة . وإن أمالي أبي علي القالي وأخبره لم تكن إلا من قبيل ما يرويه لنا الشيخ في الطريق وكنا إذا نزلنا وحضر الشيخ مجلس الملك سألناه جلالتة عن أحسن ما قالته العرب في الوصف أو في العماسة أو في الكرم أو في غير ذلك من فنون الكلام فلا تلقى الشيخ إلا حاضرا البديهة سريع الغاطر يجيب كأنه استعد للجواب من قبل واستعضر له ، وأمره لم يكن كذلك بل هو وحي خاطره وسرعة ذاكرته وإذا جلسنا إلى الشيخ وروي لنا شيئا من الشعر الفاضل عن علم واسع بمعنى الكلام وأورد شواهد عدة في شرح كل كلمة من كلماته بغير تكلف أو إجهاد ذاكرة ، وخلاصة ما يقول في هذا التابغة الرواية أنه حجة المتقدمين للمتأخرين وسمير المجالس وزينة المحافل ، وهو الغليق أن يعد من الضنائن ومما يتعلق به الشيخ على غزارة مادته وسعة روياته خلق طيب ونفس عالية تجده كثير الانفراد قليل الاختلاط ، وما رأيته يوما على ظهر راحلته إلا ذكرت قول ابن أبي ربيعة :

قليل على ظهر المطي ظله

-وي ما نفى عنه الرداء المعبر-

وكذلك الشيخ نحيف الجسم أسمر اللون قليل الكلام إلا إذا تناول موضوعا من المواضيع .

ومن لم يعرف نجدا وعلماءها وانقطاعهم إلى طلب العلم رأى المعجب كل المعجب في ظهور أمثال (المعيري) في هذه الديار ولكن طلاب العلم منهم يقضون لياليهم في الاجتهاد والتعصيل والعفظ والناس ثيام فاذا كملت لهم مادة العلم حمدوا غيب السرى وظهر فيهم أمثال هذه التابغة (المعيري) انتهى ما أورده الشيخ يوسف ودونه في رحلته التي قام بها في معية الملك ، عن الشيخ (المعيري) . رحم الله الملك عبد العزيز وبه وبوابه الرحمة ثراه وجعل جنة الفردوس وماواه وجزاء عن جهاده في سبيل نصرته الدين وجمع كلمة المسلمين خير الجزاء . ورحم الله الشيخ (المعيري) مضى اليوم على وفاته خمسة وأربعون عاما حيث وافاه الأجل المحتوم سنة ألف وثلاثمائة والستين وخمسين فبكاه الأدياء بدمعهم ورثوه بقصائدهم وحسبنا أن

نذكر منهم في هذا الموضع صديقه العميم شاعر نجد الكبير في زمنه الشيخ
محمد بن عبدالله ابن عثيمين حيث رثاه بقصيدة باثية مؤثرة نقتطف منها
هذه الأبيات التالية :

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب
متى حظ ذا عن نعمة ذلك يركب

نشاهد ذا عين اليقين حقيقة
عليه مضى طفل وكهل وأشب

ولله كم غاد حبيب ورائح
نشيعه للقبر والدمع يسكب

اخ او حميم او تقى مهذب
يواصل في نصح العباد ويداب

نهيل عليه التراب حتى كأنه
عدو وفي الأحشاء نار تلهب

سقى جدثا وارى ابن أحمد وأبل
من العفو رجاس العشيات صيب

وانزله القفران والرضا
يطافى عليه بالرحيق ويشرب

فقد كان في صدر المجالس بهجة
به تحلق الأبصار والقلب يرهب

فطورا تراه منذرا ومعدرا
عواقب ما تجني الذنوب وتجلب

وطورا بالاء الاله مذكرا
وطورا الى دار النعيم يرغب

ولم يشتغل من ذا ببيع ولا شرا
نعم في ابتغاء المجد للبذل يطرب

فلو كان يفندي بالنفوس وما خلا
لطبنا نفوسا بالذي كان يطلب

ولكن اذا تم المدى نفذ القضا
وما لأمري، عما قضى الله مهرب
أخ كان لي نعم المعين على التقى
به تنجلي عني الهموم وتذهب
فطورا ياخيبر الرسول وصعبه
وطورا بإداب تلذ وتمذب
على ذا مضى عمري كذاك وعمره
صفيين لا نجفو ولا نتعصب
وما الحال الا مثل ما قال من مضى
وبالجملة الأمثال للناس تضرب
لكل اجتماع من خليين فرقة
ولو بينهم قد طاب عيش ومشرب
وصل الهي ما همر الودق او شدا
على الأيك سجاع العمام المطرب
على سيد السادات والأل كلهم
وأصحابه ما لاح في الأفق كوكب

أخرها رحم الله الراثي والمرثي وإيانا وجميع المسلمين ، هذا ولا
يفوتني التنويه بما أنعم الله به على هذه المملكة من عديد النعم والتقدم في
جميع المعارف والعلوم فهي ولله الحمد تزخر بالآلوف المؤلفة من العلماء الأعلام
والأدباء الكبار الذين اتجهوا بالآداب اتجاها نافعا ومفيدا فاثروا المكتبة العربية
بمؤلفاتهم القيمة وملأوا الصحف بانتاجهم العلمي الأدبي *

نسال الله أن يطيل عمر امام المسلمين جلالة الملك خالد بن عبد العزيز
الذي أزر العلم وناصر الدين وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير
فهد بن عبد العزيز أنه سميع مجيب وصلى الله على محمد وآله وصعبه ومن
تبعهم بإحسان الى يوم الدين *